بسم الله الرحمن الرحيم

أثرنظام القرآن

في بيان مقاصد الأسماء والصفات

أ, د. أحمد حسن فرحات

أثر دلالة النظام في تبين المقاصد والغايات:

لابد لنا في مستهل هذا البحث أن نبين المراد ب"النظام":

تكلم العلماء قديما على المناسبات بين الآيات، والمناسبات بين السور- يريدون بها الروابط- وقد روي عن الرازي قوله :

"أكثر لطائف القرآن مودعة في الروابط والترتيبات".

أما علم " النظام " فهو مما قال به العلامة عبد الحميد الفراهي الهندي.

فعلم النظام : لا يظهر التناسب وحده، بل يجعل السورة كلاما واحدا، ويعطيها وحدا نيتها، التي بها صارت سورة كاملة، مستقلة بنفسها ، ذات عمود تجرى إليها أجزاؤها ، ويربط الآيات بعضها ببعض، حتى تأخذ كل آية محلها الخاص ، ويتعين من التأويلات المحتملة أرجحها . فالنظام أعم من المناسبات.

فمن تدبر القران في ضوء النظام، فلا شك أنه لا يخطيء في فهم معانيه ، وذلك لأن النظام يبين سمت الكلام ، وينفى عنه تشاكس المعاني ، ويرد الأمور إلى الوحدة ، ويسد أبواب الدخول فيه للأهواء، حتى يجبره أن لا يأخذ إلا بصحيح التأويل، ولا يعتمد إلا عليه. وهو أعظم مطلوب.

يقول الفراهي في سبب قوله بالنظام وحرصه عليه:

ولكن اضطرني إليه أمور :

الأول : إني رأيت جل اختلاف الآراء في التأويل ، من عدم التزام رباط الآيات . فإنه لو ظهر النظام ، واستبان لنا عمود الكلام ، لجمعنا تحت راية واحدة . وكلمة سواء :" كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء " .

وجعلنا معتصمين بحبل كتابه كما قال :

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ آل عمران: ١٠٣

وكيف الخلاص عن التفرق الأصلي ، وقد جعلوا هذا الحبل أشتاتاً في ظنونهم . وهو بحمد الله متين ؟! .....

فيؤوله كل فريق حسب ظنه ، ويحرف طريق الكلام عن متنه .

وبالنظام ، يتبين سمت الكلام ، فينفى عن آيات الله ، أهواء المبتدعين ، وانتحال المبطلين ، وزيغ المنحرفين .....

والثاني : إني رأيت الملحدين قد طعنوا في القرآن ، من جهة سوء النظم .....

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾ الكهف: ٥

وقد علمت حق اليقين ، أن قولهم باطل ، وحجتهم داحضة . فلم يسعني أن أسكت ، وأرى الباطل قد عمت بلواه، وبلغ السيل زباه .

الثالث : أنه لا يخفى أن نظم الكلام بعض منه ، فإن تركته ذهب بعض معناه . فإن للتركيب معنى زائداً على أشتات الأجزاء ، فلاشك أن من حرم فهم النظام ، فقد حرم حظاً وافراً من الكلام . ويوشك أن يشبه حاله بمن قبله من أهل الكتاب - كما أخبر الله تعالى عنهم - :

" فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة " .

وأخاف أن تكون هذه العداوة والبغضاء بين المسلمين من هذا النسيان . فلا تهدأ عداواتهم ، ولا يرجعون عن اختلافهم .

وسبب ذلك ما ذكرنا في الأمر الأول ، لأنا إذا اختلفنا في معاني كلامه ، اختلفت أهواؤنا ، وصرنا مثل أهل الكتاب . غير أن رجاءهم كان بهذا النبي ، وهذا القرآن الذي يرفع اختلافهم.

وأما نحن فليس لنا إلا هذا الكتاب المحفوظ ".[1]

---

[1] فاتحة نظام القرآن للفراهي:ص3-4-مطبعة الإصلاح-الهند1352هـ

وبناء على هذا الأصل كنت أثناء تلاوتي للآيات المتصلة بالاعتقاد، أرى معاني مختلفة عما توارثناه، مما شغل علماء نا السابقين، من اهتمام بالمعاني الجزئية، والتي كثيرا ما تكتفي بموضع الشاهد-حسب اهتمام العالم وتخصصه- على حين نرى أن فكرة النظام، المراعية للسباق والسياق ، توجه الاهتمام إلى المعاني الكلية الجامعة، والمؤدية إلى المقاصد والغايات. علما بأن هذا الاتجاه ليس خاصا بآيات الاعتقاد وحدها. بل هو مما عمت به البلوى قديما، في معظم كتب التراث.

ولعل ذلك يعود الى مجموعة من الأسباب، ولعل أهمها:

- أن علم معاني القرآن، نشأ في أحضان علماء العربية ، كالفراء، والزجاج، والأخفش، وأمثالهم، وهؤلاء كانت تستهويهم البحوث الجزئية، وتلفت انتباههم قضايا الصرف، والإعراب، مغفلين السوابق واللواحق، في كثير من الأحيان، وربما أغراهم بذلك كثرة الوجوه المحتملة، التي تنشأ نتيجة قطع الكلام عن سباقه وسياقه -بناء على أن القرآن حمال أوجه- والذي ربما يدل على تبحرهم في العلم.. وجاء المفسرون، والفقهاء، من بعدهم، فأقاموا بنيانهم على تلك الأسس التي مهدها السابقون. ويمكن أن نضرب لذلك بعض الأمثلة:

-يتساءل الفراء عند قوله تعالى:

﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ النحل: ٨١ "

عن عدم ذكر البرد في الآية، ثم يجعله مقدرا. أي : تقيكم الحر، وتقيكم البرد. علما أنه لومد نظره في ما سبق من الآيات، لوجد قوله تعالى:

﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ النحل: ٥

فهي إذن تقيكم البرد. فلا يحتاج إلى مثل هذا التقدير.

-والمثال الثا ني: ينطبق على أهل الفقه، الذين وقفوا عند قوله تعالى:

﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ الواقعة: ٧٩

حيث رأوا أن الآية إنما هي في اشتراط الطهارة ، لمس المصحف.

علما أن الآية في سباقها، وسياقها تقول:

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ الواقعة: ٧٥ ــ ٨٠

فالحديث إذن عن القرآن الكريم، في اللوح المحفوظ، قبل نزوله إلى الأرض، وأنه لا يصل إليه إلا الملائكة المطهرون. وأن تنزيله إلى الأرض، من رب العالمين. وفي هذا تأكيد لقوله تعالى:

﴿ وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ ﴾ الشعراء: ٢١٠ ــ ٢١٢

ثم لو كانت الآية في مس المصحف من الناس لقال :" المتطهرون". لأن الناس ليسوا مطهرين خلقة، كالملائكة . إنما يكتسبون الطهارة بفعلهم، كما قال:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ البقرة: ٢٢٢

فانظر كيف تغير المقصود من الآية، نتيجة عدم مراعاة السباق، والسياق.

وموضوع" الأسماء، والصفات" من الموضوعات الهامة، المتصلة بالاعتقاد، والتي شغلت علماء الأمة- قديما، وحديثا-نظرا لاتصالها بذات الله –عز وجل- حيث سلك العلماء في معالجة هذا الموضوع مسالك متعددة، وكانت لهم وجهات نظر مختلفة، مما أدى إلى نشوء الفرق المتشا كسة، كالمعتزلة، والجبرية ، والمرجئة ، والأشعرية، وغيرها.....

يقول العلامة عبد الحميد الفرا هي:

" قد رأينا اختلافا عظيما في العقائد ، حتى نشأت فرق متضادة، واختلفوا كل الاختلاف ، فكفر بعضهم بعضا ، ولم يكن ذلك إلا لخوضهم فيما لم يكن لهم إليه سبيل، فتقولوا بما لم يثبت، واستنتجوا من بعض النصوص ما يخالف بعضا آخر منها، وقد نهوا عن ذلك .

فالطريق القويم: هو الانتهاء حيث انتهى النص، والاعتصام بالعقيدة، والعمل بالمحكم "[1].

ومن الأسباب التي أدت إلى هذه النتائج ما ذكره الراغب الأصفهاني في مقدمة تفسيره حيث قال:

" إن المعاني ضربان : جلي وغامض :

- فالجلي : ما يمكن إدراكه بأدنى التأمل ، كقوله تعالى :

﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ إلى قوله:

﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ -النساء : -36.

- وأما الغامض :

- أن يكون المعنى في نفسه خفياً ، نحو **الكلام في صفات الباري – سبحانه – ونفى التشبيه عنه**[2].....

ويمكن أن يضاف إلى ذلك **مما يوقع الاختلاف، ويُكثر الشّبَه**" :

-اختلاف النَّظَرَيْن-من جهة الناظرين-. وذلك كنظر فرقتي أهل الجبر، والقدر:

-حيث اعتبر أهل الجبر: السبب الأول، فقالوا : الأفعال كلها من جهة الباري سبحانه وتعالى ، إذ لو لولاه، لم يوجد شيء منها .

-وقال أهل القدر: إن الممكنات من جهتنا، حيث اعتبروا السبب الأخير ، وهو المباشر للفعل، دون السبب الأول .

ومنها: اختلاف نظر الناظرين: من اللفظ إلى المعنى، أو من المعنى إلى اللفظ .

- وذلك :كنظر الخطّابي إلى اللفظ، في إثبات ذوات الأشياء .

- ونظر الحكماء من ذوات الأشياء، إلى الألفاظ .

وذلك : نحو الكلام في صفات الباري – عز وجل – :

فإن الناظر من اللفظ وقع عليه من الشبهة العظيمة، في نحو قوله تعالى:

﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾. وقوله :﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾.وما يجري مجراه .

---

[1] القائد إلى عيون العقائد- للفرا هي- ص4-5-نسخة الكترونية.

[2] مقدمة جامع التفاسير-للراغب-ص: 35

وأهل الحقائق لما تبينوا بالبراهين: أن الله تعالى واحد، منزه عن التكثر – فكيف عن الجوارح – بنوا الألفاظ على ذلك ، وحملوها على مجاز اللغة، ومشاع الألفاظ، فصينوا عما وقع فيه الفرقة الأولى[1] .

هذا ما ذهب إليه الراغب في بيان أسباب الاختلاف.

ويقول الفرا هي: العقيدة : ليست إلا ما يعتقده القلب، وذلك لا يكون اللفظ المحض، بل لا بد له من معنى، وأقل ذلك: المعنى المجمل.

فأما الألفاظ المحضة ك"اليد، والساق، وغيرها" فلا تدخل في العقائد.- والقول بهذه الألفاظ بدعة-. إنما جاء الوحي با لجملا ت، فلا نزيد عليها، فنقول:

"يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ" - المائدة: ٦٤-

ولا نقول: إن لله تعالى يدا، وقدما، وساقا، وغير ذلك. والفرق بين القولين ظاهر"[2].

يريد بذلك: أن القول بهذه الألفاظ، يصرف النظر عن المعنى الذي جاءت الآية من أجله، وهو الرد على ما قالته اليهود من أن "يد الله مغلولة" فأجابهم بقوله :

﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴿٦٤﴾ ﴾ المائدة: ٦٤

ويمكن أن نذكر بعض الأمثلة الأخر المتصلة بالعقائد، والصفات:

قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ الصافات: ٩٦

-حيث يمكن أن تكون "ما": موصولة- على معنى-: خلقكم والذي تعملون.

-ويمكن أن تكون مصدرية- على معنى-: خلقكم وعملكم.

وقد ذكر أهل التفسير القولين بمستوى واحد.

بل إن أهل الجبر: بنوا مذهبهم على المعنى الثاني ، الذي يفيد خلق الأفعال.

والآية- عل كلا القولين- تفيد التقرير. علما أننا لو وضعنا الآية في سباقها، نرى أن المعنى ينتقل من التقرير، إلى الإنكار.

ذلك أن الآية التي قبلها- جاءت على لسان إبراهيم عليه السلام-مخاطبا قومه المشركين الذين يعبدون الأصنام- التي ينحتونها بأيديهم، قائلا :

---

[1] مقدمة جامع التفاسير للراغب- ص40-41

[2] القائد إلى عيون العقائد- ص:3-4

﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ الصافات: ٩٥ - ٩٦

حيث يصير المعنى: أفتعبدون الذي تنحتون من الأصنام، والله خلقكم وخلق الأصنام التي تنحتونها. فهو ينكر عليهم هذا الفعل.

وعلى هذا لابد أن تكون " ما ": موصولة.

ولو قلنا بأن" ما ": مصدرية، لم يستقم معنى الآية، ذلك أن " عملكم"- المؤول بالمصدر-: إما أن يعود إلى: "أتعبدون "، أو يعود إلى: "تنحتون".

- فيكون المعنى على القول الأول: أفتعبدون ما تنحتون. والله خلقكم وعبادتكم؟ وهذا المعنى لا يستقيم لأن أوله إنكار، وآخره تقرير، وكأنه بذلك يعطيهم حجة لفعلهم، على حين هو يريد أن يقيم الحجة عليهم.

-ولو قلنا إن المصدر المؤول يعود إلى "تنحتون": يكون المعنى: أفتعبدون ما تنحتون. والله خلقكم ونحتكم "؟

وهذا المعنى لا يستقيم أيضا، إلا إذا جعلنا المصدر المؤول " نحتكم"، بمعنى: اسم المفعول:" منحو تكم ". وبذلك يعود إلى معنى "ما" الموصولة. غير أن هذا القول يحتاج إلى تقدير. والمعنى الأول: أولى، لأنه لا يحتاج إلى تقدير.

آيات الاستواء:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ الأعراف: 54

فالآية تتحدث عن الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ، كما تتحدث عن استوائه على العرش، حالة كونه يغشي الليل النهار، يطلبه حثيثا. كما تتحدث عن خلقه الشمس والقمر والنجوم، حالة كونها مسخرة بأمره. ثم توجز الكلام بقوله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾

فالحديث عن خلق السموات والأرض، وخلق الشمس والقمر والنجوم، من باب الخلق. والاستواء على العرش حالة كونه يغشي الليل النهار، وحالة كون الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره. كل ذلك يدخل في باب الأمر. ومن ثم كان الختام:

﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ الأعراف: 54

ومثل ذلك قوله تعالى:

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ ﴾ يونس: ٣

فبعد أن ذكر خلق السموات والأرض في ستة أيام، ذكر ا ستواءه على العرش، حالة كونه يدبر الأمر، وأنه لا شفيع عنده إلا من بعد إذنه، وأنه المستحق للعبادة، وأن المرجع إليه، فيجازي كلا على حسب عمله، واستحقاقه.

ومثل ذلك أيضا قوله تعالى:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ الرعد: ٢ –4

حيث ذكر رفع السموات بغير عمد، ثم ذكر استواءه على العرش، وتسخيره الشمس والقمر يجريان لأجل مسمى، حالة كونه يدبر الأمر.

ومثل ذلك أيضا قوله تعالى:

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ٦ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨ ﴾

طه: ٥ - ٨

قال الراغب في المفردات:

قيل: معناه استوى له ما في السموات وما في الأرض، أي: استقام الكل على مراده، بتسوية الله تعالى إياه، كقوله: " ثم استوى إلى السماء فسواهن" .

وقيل: معناه: استوى كل شيء في النسبة إليه، فلا شيء أقرب إليه من شيء، إذ كان تعالى ليس كالأجسام الحالة في مكان، دون مكان.[1]

وهكذا نجد مقصد آيات الاستواء، مرتبط بسياقها، الأمر الذي لم يلتفت إليه كثير من العلماء ، الذين شغلوا عنه: بالحديث عن معنى" الاستواء"، وحقيقته، مما كان سببا في الاختلاف، وتعدد الأقوال.

ويمكن أن يكون من قبيل ذلك قوله تعالى:

﴿ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩ ﴾

الفتح: ٢٩

حيث استوى الزرع على سوقه، حال كونه يعجب الزراع

وجه الله:

كثيرا ما يجعلون الآيات التي يذكر فيها: " **وجه الله** " من آيات الصفات، علما بأن سياق هذه الآيات يدل على معنى آخر، وهو: " **ما أريد به وجهه تعالى**".

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٨ ﴾ القصص: ٨٨ "

قال ابن تيمية في كتابه " تفسير آيات أشكلت ":

قال مجاهد في قوله: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ ﴾ :

---

[1] مفردات ألفاظ القرآن للراغب: مادة "سوا "

قال:"إلا ما أريد به وجهه".

وقال سفيان الثوري: "إلا ما ابتغى به وجهه" .

كما يقال: ما يبقى إلا الله، والعمل الصالح. وفي الحديث:

" الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، وعالم ومتعلم"[1].

فأي شيء قصده العبد وتوجه إليه بقلبه، أو رجاه، أو خافه، أو أحبه، أو توكل عليه، أو والاه، فإن ذلك هالك مهلك، ولا ينفعه إلا ما كان لله[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ ﴾

الرحمن: ٢٦ ــ ٣٠

يقول ابن تيمية:

وهذا بخلاف قوله: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ فإنه حصر كل من عليها، ولم يستثن- مع أن هذا المعنى تدل عليه- فإن جميع الأعمال تفنى، ولا يبقى منها شيء ينفع صاحبه، إلا ما كان لوجهه ذي الجلال والإكرام، كما قال مالك:

"وما كان لله فهو يبقى، وما كان لغير الله لا يدوم ولا يبقى"[2].

﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ ۖ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ النحل: ٩٦

وهكذا يكون معنى الآية : كل من على الأرض يفنى، ويبقى مما عليها العمل الصالح، الذي يجل الله ويكرمه. وبناء على هذا يكون الاستثناء ممن عليها كأنه استثناء متصل.

أما على القول الآخر- الذي يجعل "الوجه" بمعنى الصفة- فيكون الاستثناء فيه: أشبه بالمنقطع.

ولاشك عندي بأن القول الأول أرجح ، لأن السياق في تعداد ما جعل الله على الأرض من النعم التي جعلها للأنام ، حيث قال:

﴿ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ ﴾ الرحمن: ١٠

---

[1] تفسير آيات أشكلت- لابن تيمية- ص411-412

[2] تفسير آيات أشكلت- لابن تيمية- ص413

ويشهد لذلك قوله تعالى:

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ ﴾ الكهف: ٧ ــ ٨

حيث يصبح كل ما عليها صعيدا جرزا.

أما قوله تعالى: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ الكهف: ٤٦

فهو يشير إلى الباقيات الصالحات، وهي الأعمال الصالحة التي ابتغي بها وجه الله.

كما يشهد لذلك قوله تعالى في آخر السورة:

﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾ الرحمن: ٧٨

فالله ربنا- الموصوف بذي الجلال والإكرام-لابد أن يجل ويكرم أهل العمل الصالح الذي ابتغي به وجهه -والذي يجل الله ويكرمه-. وذلك كما قال في جزاء أهل الإحسان: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ الرحمن: ٦٠

رؤية الله يوم القيامة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ القيامة: ٢٢ ــ ٢٥

المشهور- في هذه الآية- الخلا ف بين أهل السنة، والمعتزلة:

-حيث يستنبط أهل السنة منها: إمكانية رؤية الناس لربهم يوم القيامة.

-على حين ينكر المعتزلة إمكانية الرؤية، جاعلين "إلى": واحدة " الآ لاء" وجاعلين " النظر" ، من: الانتظار. فيكون المعنى على قولهم: نعمة ربها منتظرة.

ولا شك أن ما ذهبت إليه المعتزلة فيه تكلف واضح، وأن المعنى الذي أرادوه، يمكن أن يفهم من التقابل، الذي يدل عليه قوله تعالى:

﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ ﴾

فيكون المعنى، المقابل:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾

فهي تنظر إلى ربها، وتنتظر منه الإنعام، كما تنتظر الوجوه البا سرة: أن يفعل بها فاقرة.
وبذلك يمكن الجمع بين المعنيين، مع إثبات الرؤية في الآخرة، للمؤمنين.
وبهذا يتبين أن مراعاة السياق تفيد معنى إضافيا، لا يمكن استفادته بدونها.

طرق استدلال القرآن:

يقول العلامة الفرا هي :

قد دلنا القرآن على صحة العقيدة فيما يتعلق بمعرفة الرب تعالى بطرق مختلفة متفاوتة، في درجات الدلالة، ونذكرها بالترتيب:

- **الطريق الأول: وهو المعرفة من أسمائه تعالى:**

وهو أبلغها وأوضحها، وأوثق ما يعتمد عليه. فإن الاسم ألزم وأقدم، وأدل على المسمى من غير لحاظ إلى ما سواه. وهذا موافق لعادة عامة - لا سيما عادة العرب- فإنهم أصح الأمم إصابة في التسمية. وإنما جعل الاسم للدلالة على المسمى، فمن عرف الشيء باسمه الصحيح، فقد عرفه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ ﴾ الإسراء: ١١٠

فعلمنا أن" الله" و" الرحمن" من أسمائه الخاصة، التي ندعوه بها على طريق الاسم.

وهكذا نعلم من كلام العرب، فإنهم لم يستعملوا هذين الاسمين إلا لله تعالى[1]

هذا ما يراه الفرا هي، وكثير من العلماء السابقين "

ولكن للإمام أبي حامد الغزالي رأي آخر، أفاض القول فيه في كتابه:

" المقصد الأ سنى" حيث يقول:

" الفصل الرابع: في بيان أن كمال العبد وسعادته: في التخلق بأخلاق الله تعالى، والتحلي بمعاني صفاته وأسمائه، بقدر ما يتصور في حقه:

اعلم أن من لم يكن له حظ من معاني أسماء الله عز و جل، إلا بأن يسمع لفظه،

([1]) القائد إلى عيون العقائد-نسخة الكترونية-ص: 10

ويفهم في اللغة معنى تفسيره، ووضعه، ويعتقد بالقلب وجود معناه في الله تعالى، فهو مبخوس الحظ، نازل الدرجة ليس يحسن به أن يتبجح بما ناله:

- فإن سماع اللفظ: لا يستدعي إلا سلامة حاسة السمع، التي بها تدرك الأصوات، وهذه رتبة تشارك البهيمة فيها.

- وأما فهم وضعه في اللغة: فلا يستدعي إلا معرفة العربية، وهذه رتبة يشارك فيها الأديب اللغوي، بل الغبي اللغوي: البدوي.

- وأما اعتقاد ثبوت معناه لله سبحانه وتعالى، من غير كشف، فلا يستدعي إلا فهم معاني الألفاظ والتصديق بها. وهذه رتبة يشارك فيها العامي، بل الصبي. فإنه بعد فهم الكلام، إذا ألقي إليه هذه المعاني تلقاها وتلقنها، واعتقد ها بقلبه، وصمم عليها. وهذه درجات أكثر العلماء، فضلا عن غيرهم.

-ولا ينكر فضل هؤلاء بالإضافة إلى من لم يشاركهم في هذه الدرجات الثلاث-.

ولكنه نقص ظاهر، بالإضافة إلى ذروة الكمال. فإن حسنات الأبرار: سيئات المقربين"[1].

وهكذا نرى أبا حامد يقلل من شأن المعرفة، عن طريق التسمية وحدها، ويضيف إلى ذلك: طريق الكشف.

والغزالي يكاد يكون متفردا بين العلماء، الذين التفتوا إلى مقاصد الأسماء والصفات، وذلك ظاهر من عنوان كتابه:

" المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى "

كما هو ظاهر في آثار هذه الأسماء، وحظوظ الإنسان منها، كما يوضح ذلك أبو حامد حين يقول:

-بل حظوظ المقربين من معاني أسماء الله تعالى ثلاثة:

-**الحظ الأول: معرفة هذه المعاني على سبيل المكاشفة، والمشاهدة**، حتى يتضح لهم حقائقها بالبرهان، الذي لا يجوز فيه الخطأ، وينكشف لهم اتصاف الله عز و جل بها انكشافا يجري في الوضوح والبيان، مجرى اليقين الحاصل للإنسان بصفاته الباطنة، التي يدركها بمشاهدة باطنه، لا بإحساس ظاهر. وكم بين هذا وبين الاعتقاد المأخوذ

([1]) المقصد الأسنى-ج1- ص44

من الآباء والمعلمين تقليدا، والتصميم عليه، وإن كان مقرونا بأدلة جدلية كلامية .

-**الحظ الثاني: من حظوظهم: استعظامهم ما ينكشف لهم من صفات الجلال،** على وجه ينبعث من الاستعظام، يشوقهم إلى الاتصاف بما يمكنهم من تلك الصفات، ليقربوا بها من الحق قربا بالصفة، لا بالمكان، فيأخذوا من الاتصاف بها شبها بالملائكة المقربين- عند الله عز و جل-.

ولن يتصور أن يمتلئ القلب باستعظام صفة واستشرافها، إلا ويتبعه شوق إلى تلك الصفة، وعشق لذلك الكمال والجلال، وحرص على التحلي بذلك الوصف- إن كان ذلك ممكنا للمستعظم بكماله- فإن لم يكن بكماله، فينبعث الشوق إلى القدر الممكن منه، لا محالة .

ولا يخلو عن هذا الشوق أحد إلا لأحد أمرين:

- إما لضعف المعرفة واليقين، بكون الوصف المعلوم، من أوصاف الجلال والكمال.

- وإما لكون القلب ممتلئا بشوق آخر، مستغرقا به، فالتلميذ إذا شاهد كمال أستاذه في العلم، انبعث شوقه إلى التشبه والاقتداء به، إلا إذا كان مملوء ا با لجوع مثلا، فإن استغراق باطنه بشوق القوت، ربما يمنع انبعاث شوق العلم.

ولهذا ينبغي أن يكون الناظر في صفات الله تعالى خاليا بقلبه، عن إرادة ما سوى الله عز و جل. فإن المعرفة: بذر الشوق- ولكن مهما صادف قلبا خاليا، عن حسيكة الشهوات- فإن لم يكن خاليا، لم يكن البذر منجحا.

-**الحظ الثالث: السعي في اكتساب الممكن، من تلك الصفات، والتخلق بها، والتحلي بمحاسنها.** وبه يصير العبد ربانيا، أي قريبا من الرب تعالى، وبه يصير رفيقا للملأ الأعلى من الملائكة، فإنهم على بساط القرب. فمن ضرب إلى شبه من صفاتهم، نال شيئا من قربهم، بقدر ما نال من أوصافهم المقربة لهم، إلى الحق تعالى .

كما يظهر ذلك أيضا في التنبيهات، التي أعقبها شرح كل اسم من الأسماء الحسنى، والتي تبين حظ الإنسان من هذه الأسماء، والصفات[1].

وسنرى أمثلة ذلك أثناء استعراضنا لنماذج من الأسماء، والصفات.

([1]) المقصد الأسنى-45-46

ولابد أن نشير هنا إلى أن ما دعا إليه الغزالي من معرفة مقاصد الأسماء والصفات، عن طريق الكشف، نجد صداه عند " **بديع الزمان النورسي** " في عرضه **لتجليات هذه الأسماء**، في آيات الآفاق، والأنفس.-وسنرى ذلك في بعض النماذج لاحقا- .

ونعود إلى استعراض بقية الطرق التي ذكرها الفراهي:

- **الطريق الثاني**: هو طريق الوصف بصفة، وهذا دون التسمية، فإن الشيء قد يوصف بصفة، ولا يسمى بها.

صفات الله تعالى

هو تعالى ذو الجلال والإكرام، كما علمنا القرآن، ويذعن به العقل، فإن المدح إنما يكون بما هو الجليل، والجميل. ومثل ذلك قوله تعالى:

" ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ "-الحشر: ٢٣-

فالملك جهة الجلال، والقدوس جهة الجمال، ثم كذلك ثلاث صفات الجمال، ثم ثلاث صفات الجلال. ومثل ذلك قوله تعالى:

(يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١) -الجمعة: ١-

فالعزيز الحكيم: مثل الملك القدوس، الأول صفة الجلال، والثاني صفة الجمال. فإن القدوس جمال الخلق، والحكيم جمال العقل. ومثل ذلك:

(لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ) -التغابن: ١-

وهكذا:(وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٦) -البروج: ١٤ – ١٦-

وهكذا: (وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢) الملك: ٢ وهكذا: هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٦) -لقمان: ٢٦- فاطر: 15، الحديد: 24، الممتحنة: 6-

وهكذا: (ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٦) - سبأ: ٦، البروج: 8- وغير ذلك.

نبهنا القرآن على صفات الله التي غفل عنها أكثر الناس.

فاعلم أن الله تعالى جعل بعض صفاته، ومظاهره، كأنها هو، فمنها:

العدل، والحق، والعدالة، حتى إنه يجعلها بدلا عن نفسه، كأنها هو، كما قال:

﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢ ﴾ آل عمران: ١٤٢

أي لما يعلم العدالة، التي هي نائبة عنه تعالى- أنهم مجاهدون- فحكم العدالة حكمه،

وعلمها علمه.

وهذا ذكر عدالته في صورة الشريعة، ثم العدالة العامة، وملكوته الوسيع مثل ذلك، تنوب عنه. كما قال:

(خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) - الملك: ٢-

أي: ليظهر أعمالهم في عالم الشهادة، والخلق .

ومنها: " الرحمة" و" المظلوم"، فقال:

"وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾"

-النساء: ٧٥-

فجعل المستضعفين بدلا عن نفسه، كناية عن كون نصرتهم نصرة الله تعالى.

ومثل ذلك قوله تعالى: "وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ"-الحج: ٤٠-

أي: من ينصر الضعفاء، والعدل، والسلم، فإن الله تعالى هو الناصر، ولا ينصره أحد[1]...

- **والطريق الثالث**: هو نسبة الأفعال، وهذا دون الأولين. فإن بعض الأفعال ينسب إلى شيء، على طريق المجاز. وللمجاز أبواب كثيرة، وهذه المدارج قد ذكرناها ببعض البسط، في كتاب "أصول التأويل". فلا نعيده. والعاقل تكفيه الإشارة.[2]

- **والطريق الرابع**: ما يدل عليه نظم القرآن. وهذا لطيف جدا، ولكنه طريق واضح بيّن عند أهل الفكر والتدبر. فإن الكلمة إذا وضعت في جنب كلمة أخرى، أو ضم كلام مع كلام آخر، دل على أمور جمة، كما ستعلم في ذكر الأمثلة، وتفصيل ذلك في كتاب "دلائل النظام".

فهذه أربعة طرق وإنما ذكرنا الرابع أخيرا لدقته، لا لضعفه.

كما أن الأول أوثق، مع أن شرح الأسماء، يقتضي تأملا وإمعانا، ويهتدى إلى معناه الصحيح، بالطرق الثلاث، وبتوفيق بعضها ببعض، وذلك أصل راسخ[3].

([1]) القائد إلى عيون العقائد- ص16-17

([2])القائد إلى عيون العقائد- ص16

([3])القائد إلى عيون العقائد- ص16

نماذج من استعراض الأسما، والصفات:

مفهوم اسم الله تعالى و أنه من أعظم بقايا الدين الصحيح[1].

يقول الفرا هي عن لفظ الجلالة "**الله**" -أثناء تفسيره للبسملة-:

الألف و اللام للتعريف، فلا يسمى بهذا الاسم إلا الله تعالى الواحد، خالق السماوات والأرض، و جميع الخلق. وهذا المعنى هو المعلوم عند العرب قبل الإسلام، فإنهم مع شركهم لم يجعلوا أحدا من آلهتهم مساويا لله تعالى، وأقروا بأن الله تعالى هو خالق السماء والأرض، وإنما عبدوا آلهة أخرى، لظنهم بأن هؤلاء مقربون فيشفعون لهم . كما جاء في القرآن:

﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨ ﴾ يونس: ١٨

و أيضا: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ٣ ﴾ الزمر: ٣

و أيضا :قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٦١ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٦٢ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٦٣ ﴾[1] العنكبوت: ٦١ - ٦٣[2]

و يقول الإمام أبوحامد الغزالي:

فأما قوله:" الله" : فهو اسم للموجود الحق، الجامع لصفات الإلهية، المنعوت بنعوت الربوبية، المتفرد بالوجود الحقيقي. فإن كل موجود سواه غير مستحق الوجود بذاته، وإنما استفاد الوجود منه. فهو من حيث ذاته هالك، ومن الجهة التي تليه موجود. فكل موجود هالك إلا وجهه.

([1]) فاتحة نظام القرآن-ص45-46

والأشبه أنه جار في الدلالة على هذا المعنى، مجرى أسماء الأعلام.- وكل ما ذكر في اشتقاقه، وتعريفه، تعسف، وتكلف فائدة- .

ثم يقول:

اعلم أن هذا الاسم أعظم أسماء الله عز و جل... لأنه دال على الذات الجامعة لصفات الإلهية كلها، حتى لا يشذ منها شيء. وسائر الأسماء لا يدل آحادها إلا على آحاد المعاني، من علم، أو قدرة، أو فعل، أو غيره. ولأنه أخص الأسماء، إذ لا يطلقه أحد على غيره، لا حقيقة ولا مجازا. وسائر الأسماء قد يسمى به غيره، كالقادر، والعليم، والرحيم، وغيره. فلهذ ين الوجهين يشبه أن يكون هذا الاسم أعظم هذه الأسماء.

ثم يقول أبو حامد عن حظ الإنسان من هذا الاسم:

تنبيه:

ينبغي أن يكون حظ العبد من هذا الاسم **التأله**، وأعني به: أن يكون مستغرق القلب والهمة بالله عز و جل، لا يرى غيره، ولا يلتفت إلى سواه، ولا يرجو ولا يخاف إلا إياه. وكيف لا يكون كذلك، وقد فهم من هذا الاسم أنه الموجود الحقيقي الحق، وكل ما سواه فان، وهالك، وباطل، إلا به. فيرى أولا نفسه أول هالك، وباطل، كما رآه رسول الله حيث قال: أصدق بيت قالته العرب قول لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ... وكل نعيم لا محالة زائل"[1].

الرحمن:

يرى بعض أهل العلم أن سورة الرحمن نزلت جواباً لتجاهل الكافرين اسم " الرحمن " – جل وعلا- وكما أخبر عنهم في قوله تعالى في سورة الفرقان:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ ﴾[2] ،

ويرى ابن عطية أن هذا القول ضعيف، وإنما وقفت العرب، على تعيين الإله الذي

---

[1] المقصد الأسنى-ج1-ص: 62

[2] سورة الفرقان : آية 60 .

أمروا بالسجود له، لا على نفس اللفظ "[1].

ومما يؤكد قول ابن عطية: ما جاء في قوله تعالى من سورة الرعد :

﴿ كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ٣٠ ﴾ "[2]

فبين- هنا- أن كفرهم بالمسمى، لا بالاسم، بدلالة قوله:

﴿ قُلۡ هُوَ رَبِّي ﴾

وأصرح من ذلك: ما حكاه الله من قول العرب المشركين، في سورة الأنبياء :

﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ ﴾"[3]

وفي سورة الزخرف:

﴿ وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۡۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴾"[4]

حيث بينت هاتان الآيتان معرفتهم باسم الرحمن، وجهلهم بالمسمى، إذ أشركوا معه غيره عقيدة، وعبادة.

أما العلامة عبد الحميد الفرا هي الهندي: فقد أورد عدداً من الأبيات من الشعر الجاهلي، تؤكد معرفة العرب لهذا الاسم، ومنها:

قال حاتم الطائي:

يقولون لي: أهلكت مالك، فاقتصد، وما كنتُ، لولا ما تقولونَ، سيّدا

كلوا الآن من رزق الإله، وأيسروا، فإنّ، على الرّحمنِ، رِزْقَكُمُ غَدا"[5]

.....

ويقول الفراهي: والقرآن أنزل بلسان قوم نبينا، وحينئذ كيف يستعمل اسما لمعنى جديد ؟ !.

((1)) المحرر الوجيز :1 / 92 .

((2)) سورة الرعد : آية 30 .

((3)) سورة الأنبياء : آية 26 .

((4)) سورة الزخرف :آية 20 .

((5)) ديوان حاتم الطائي :ص 17 .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورَۢا ﴿٦٠﴾ ﴾ [1]

كما يتبين أن السورة جاءت لتعرفهم، بالرحمن الذي لا شريك له، ومن ثم فقد عدد عليهم فعاله العجيبة [2]، وشؤونه الغريبة، التي لا يشاركه فيها أحد.

وقال تعالى:

" هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ " -الحشر: ٢٢ – ٢٤-.

فهذه أيضا أسماء نصفه بها، وأما أن ندعوه بها، فمستنبط غير مصرح به، وطريق الاستنباط ظاهر، فإن قوله تعالى:

" أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ "-الإسراء: ١١٠-

دل على أن ندعوه بأسمائه الحسنى، ثم قوله تعالى بعد سرد أسماء أخر:

" لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾"- طه: ٨-

دل على أنها منها، ثم نظم قوله تعالى:

" ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ "- البقرة: ٢٥٥-

يشبه نظم تلك الآيات الجامعة لأسمائه.

ثم جاء من صفاته تعالى على طريق الخبر كقوله تعالى:

" وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾"-البروج: ١٤ – ١٦-

فاحتمال كونها أسماء، كاحتمال كونها صفات، فوجب إعمال الفكر.

وطريقته المثلى: أن نجعل أسماءه الحسنى المصرح بها أصلا، ونرد الصفات والأفعال إليها.

وأبين أسمائه وأصرحها: " الله"، و"الرحمن"، فنجعلهما أصل المعرفة بالرب تعالى..

((1)) سورة الفرقان : آية 60 .

((2)) كما رجح ذلك الفر اهي في كتابه مفردات القرآن.

الرحمن الرحيم :

يقول الراغب الأصفهاني: " الرحمن الرحيم ":

الرحمة – في اللغة - رقه مقتضية للتعطف، والتفضل.

فمبدؤها: الرقه- التى هي انفعال-، ومنتهاها: العطف، والتفضل- الذي هو فعل-

فالإنسان إذا وصف بالرحمة:

- فتارة يراد به: حصول المبدأ، الذي هو الرقة.

-وتارة يراد به: المنتهى، الذي هو التفضل، والعطف.

-وتارة يرادان معا.

وإذا وصف بها الباري ، فليس يراد به إلا المنتهى، الذي هو الفعل. دون المبدأ، الذي هو الانفعال، إذ هو منزه عن الانفعالات، وعن كل نقص–تعالى الله عن ذلك– وعلى ذلك: " الرؤوف "، فان الرأ فه انعصار القلب، عن مشاهدة شدة مقتضية للإعانة. فمتى وصف بها الانسان: صح أن يراد به المبدأ، الذي هو انعصار القلب. واذا وصف به الباري: فليس يراد به الا الغاية، التي هي الإعانة.

وعلى ذلك: الجود، فإنه اختصاص بخلق، مقتض لأن لا يدخر عن المحتاج، ما ينتفع به، على ما يجب.

ومتى وصف به الباري تعالى فالمراد به: النهاية التي هي ترك الادخار ، دون الاختصاص بالخلق .

وهذا التفسير- أعني في الرحمة – هو على ما روي عن التابعين ، حيث قالوا الرحمة من الله: إنعام وإفضال. ومن الآدميين: رقة، وتعطف.

وهذه الطريقة: أظهر، وأبين، وأشبه بنظر السلف، من نظر من تخبط في تفسير ذلك، زاعما أن الوصف لا يختلف معانيه، باختلاف الموصوفين. وذلك أن قائل ذلك لم يتصور أنه قد يكون بين مبدأ المعنى، ومنتهاه : بون بعيد [1].

.....

ويقول الغزالي في الفرق بين "الرحمن"، و" الرحيم " :

---

[1] مقدمة جامع التفاسير- ص114-115

" الرحمن": أخص من الرحيم. ولذلك لا يسمى به غير الله عز و جل.

و" الرحيم ": قد يطلق على غيره، فهو من هذا الوجه، قريب من اسم الله تعلى الجاري مجرى العلم،

وإن كان هذا مشتقا من الرحمة قطعا، ولذلك جمع الله عز و جل بينهما فقال:

قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى 17 سورة الإسراء / الآية 110 فيلزم من هذا الوجه، ومن حيث منعنا الترادف في الأسماء المحصاة: أن يفرق بين معنى الاسمين، فبالحري أن يكون المفهوم من الرحمن نوعا من الرحمة، هي أبعد من مقدورات العباد، وهي ما يتعلق بالسعادة الأخروية.

- فالرحمن: هو العطوف على العباد، بالإيجاد أولا.
- وبالهداية إلى الإيمان وأسباب السعادة ثانيا.
- وبالإسعاد في الآخرة ثالث.
-ا والإنعام بالنظر إلى وجهه الكريم رابعا[1]

تنبيه:

حظ العبد من اسم الرحمن: أن يرحم عباد الله الغافلين:

- فيصرفهم عن طريق الغفلة إلى الله، عز و جل، بالوعظ والنصح بطريق اللطف، دون العنف.

-وأن ينظر إلى العصاة بعين الرحمة، لا بعين الإزراء.

- وأن يكون كل معصية تجري في العالم كمصيبة له في نفسه، فلا يألو جهدا في إزالتها بقدر وسعه، رحمة لذلك العاصي، أن يتعرض لسخط الله، ويستحق البعد من جواره .

وحظه من اسم" الرحيم":

- أن لا يدع فاقة لمحتاج إلا يسدها بقدر طاقته.
- ولا يترك فقيرا في جواره وبلده، إلا ويقوم بتعهده، ودفع فقره، إما بماله، أو جاهه، أو السعي في حقه بالشفاعة إلى غيره.

([1]) المقصد الأسنى-ج1-ص:63

- فإن عجز عن جميع ذلك، فيعينه بالدعاء، وإظهار الحزن بسبب حاجته، رقة عليه، وعطفا حتى كأنه مساهم له، في ضره، وحاجته.[1]

نموذج لبديع الزمان النورسي رحمه الله:

-ونعتذر ابتداء عن طول هذا النموذج، لأننا سنكتفي به عن غيره – علما أننا سنحاول الاختصار ما أمكن-.

من تجليات اسم الله: القدوس :

الطُهر، والنقاء، والصفاء، والبهاء، المشاهَد في قصر العالم البديع هذا: ما هو إلاّ نابع من تنظيف حكيمٍ مستمر

يقول الله سبحانه وتعالى:"والأرضَ فَرَشْناها فَنِعْمَ الماهِدُون"-الذاريات: 48-

لقد تجلت لي نكتة من نكات-لفتة، أو فكرة- هذه الآية الكريمة، وتجلّ من تجليات اسم الله "القدوس" وهو الاسم الأعظم أو أحد أنوراه الستة، وأنا نزيل سجن "أسكي شهر" أواخر شهر شعبان المبارك. فبيّن لي: "الوجود الإلهي" بوضوح تام، وكشف لي: "الوحدانية الربانية" بجلاء، كما يأتي:

.....

إن فعلَ التطهير هذا الذي هو فعلٌ واحد، ويعبّر عن حقيقة واحدة، هو تجلٍّ أعظم من تجليات اسم "القدوس" الأعظم، يُرى ذلك التجلي الأعظم، حتى في أعظم دوائر الكون، وأوسعها، بحيث يبين الوجود الرباني، ويُظهر الوحدانية الإلهية، مع أسمائها الحسنى، ظهوراً جلياً كالشمس المنيرة، فتبصره العيون النافذة النظر.

وقد ثبت ببراهين دامغة في أغلب أجزاء " رسائل النور":

- أن فعل التنظيم والنظام الذي هو تجلٍ من تجليات اسم الحَكَم والحكيم.
- وأن فعل الوزن والميزان الذي هو تجلٍّ من تجليات اسم العدل والعادل.
- وأن فعل التزيين والإحسان الذي هو تجلٍّ من تجليات اسم الجميل، والكريم.
- وأن فعل التربية، والإنعام الذي هو تجلٍّ من تجليات اسم "الرب الرحيم..".

---

[1] المقصد الأسنى-ج1-ص64

- كل فعل من هذه الافعال، هو فعلٌ واحد، وحقيقة واحدة، تشاهَد بوضوح في آفاق الكون كله.

فكل منها يشير إلى وجوب وجودِ واحدٍ أحدٍ، ويبين وحدا نيته بجلاء.

كذلك فعلُ التنظيف، والتطهير- الذي هو تجلٍ من تجليات اسم "القدوس"-: يدل على وجود ذلك الواجب، كالشمس، ويبين وحدا نيته كالنهار.

وكما أن الأفعال المذكورة من تنظيم وتقدير، وتزيين وتنظيف، وأمثالها من الأفعال الحكيمة، تبين خالقاً واحداً أحداً، بوحدتها النوعية، وبظهورها في أوسع الآفاق الكونية، كذلك أكثر الأسماء الحسنى.....

نعم، إن الحكمة العامة، التي تُخضع كل شئ إلى قانونها ونظامها، والعناية الشاملة، التي تجمّل كل شئ وتزيّنه، والرحمة الواسعة التي تُدخل السرورَ والبهجة، على كل شئ وتجعله في حمدٍ دائم، والرزق العام الذي يعتاش عليه كلُ ذي حياة، ويتمتع بلذائذه، والحياة والأحياء التي تربط كل شيء بالأشياء الأخرى، وتجعل الشيء ينتفع من كل شيء ، كأنه مالك للأشياء.

هذه الحقائق وأمثالها، المشهودة بالبداهة، والمتسمة بالوحدة، والجاعلة وجهَ الكون يشرق بهاءً، ويستهل بِشراً وسروراً، تدل بداهةً على: الحكيم، الكريم، الرحيم، الرزاق، الحي المحيي، كما يدل الضوءُ على الشمس.....

.....

وهكذا؛ فالحكمة: ضياءٌ. والرحمة الواسعة: ضياء. والتزيين، والموازنة، والتنظيم، والتنظيف: كلٌ منها ضياء شامل، محيط. وشعاع من أشعة ذلك النور الأزلي سبحانه.

فانظر الآن بنور هذا الإيمان: لترى كيف يسقط أهل الكفر والضلالة، في مستنقع آسن، لا يمكنهم الخروج منه. وشاهد مدى حماقة أهل الضلالة، وجهالتهم! واحمد الله قائلاً:

"الحمد لله على دين الإسلام وكمال الإيمان"

نعم، إن هذا التنظيف السامي الشامل المشاهَد، الذي يجعل قصر العالم طاهراً نقياً .نظيفاً، لهو تجلٍ من تجليات اسم "القدوس"، ومقتضىً من مقتضياته.

وكما تتوجه تسبيحات المخلوقات جميعها إلى اسم "القدوس"، وترنو إليه، كذلك يستدعي اسم "القدوس": نظافة تلك المخلوقات وطهارتها[1]، حتى عدّ الحديث

الشريف "النظافة من الإيمان": الطهور نوراً من أنواره[2] لارتباطه القدسي هذا، وأظهرت الآية الكريمة: أن الطُهر مدعاة إلى المحبة الإلهية، ومدار لها، في قوله تعالى:

"إنَّ الله يحبّ التوابينَ ويحبّ المتطهرين"[1]

– والحمد لله رب العالمين–

[1]– كليات رسائل النور، المجلد الثالث (اللمعات). تأليف: بديع الزمان سعيد النورسي، رحمه الله.

مراجع البحث:

-تفسير آيات أشكلت- لابن تيمية- دراسة وتحقيق : عبد العزيز بن محمد الخليفة-مكتبة الرشد-.

-تفسير ابن عطية-المحرر الوجيز-

-دلائل النظام للفر اهي-الدائرة الحميدية ومكتبتها-.

-ديوان حاتم الطائي

-فاتحة نظام القرآن للفر اهي: -مطبعة الإصلاح-الهند1352هـ

-القائد إلى عيون العقائد- لعبد الحميد الفر اهي- نسخة اليكترونية-

- مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني-تحقيق صفوان داودي-دار القلم بدمشق

-مفردات القرآن لعبد الحميد الفر اهي – بتحقيق وشرح الدكتور: محمد أجمل أيوب الإصلاحي

-دار الغرب الإسلامي-.

- مقدمة جامع التفاسير- للراغب الأصفهاني: دار الدعوة- الكويت-بتحقيق الدكتور أحمد حسن فرحات

-المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى: محمد بن محمد الغزالي أبو حامد-

-تحقيق : بسام عبد الوهاب الجابي- الناشر: الجفان والجابي – قبرص- الطبعة الأولى 1407 – 1987

-كليات رسائل النور، المجلد الثالث – اللمعات- بديع الزمان سعيد النورسي.